



التواصل الأدبي

مجلة نصف سنوية محكمة تعني بقضايا الأدب والنقد



تصدر عن مخبر الأدب العام والمقارن

كلية الآداب والعلوم والإنسانية والاجتماعية

جامعة باجي مختار/عنازة (الجزائر)

ديسمبر 2008

العدد الثالث

التواصل الأدبي

مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بقضايا الأدب والنقد



تصدر عن مخبر الأدب العام والمقارن

كلية الآداب والعلوم والإنسانية

جامعة باجي مختار/عنابة (الجزائر)

إدارة المجلة:

مدير المجلة: أ.د عبد المجيد حنون

رئيس التحرير: د. محمد بلواهم

أمانة التحرير:

—د/ نظيرة الكتر

—أ. هجيرة لعور

العنوان: مخبر الأدب العام والمقارن، كلية الآداب

والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار عنابة،

ص ب 12. عنابة 23000 /الجزائر

الهاتف والفاكس: 038-84-51-49 / 038-84-75-25

البريد الإلكتروني : ettaoussouleladabi@yahoo.fr

الترقيم الدولي الموحد للمجلات : ISSN 1112-7597

ديسمبر 2008

العدد الثالث

أعضاء الهيئة العلمية:

رئيس التحرير :

د. محمد بلواهم

الأعضاء :

1- أ. صالح ولعة

2- د. إسماعيل ابن صفية

3- د. نسيمه عيلان

4- أ. عمار رجال

5- د. علي خفيف

6- د. نظيرة الكتر

7- أ. هجيرة لعور

أعضاء الهيئة الاستشارية:

1- أ. د مختار نويوات (جامعة عنابة)

2- أ. د عبد الحميد بورايو (جامعة الجزائر)

3- أ. د الطيب بودربالة (جامعة باتنة)

4- أ. د عبد الواحد شريفي (جامعة وهران)

5- أ. د عز الدين مخزومي (جامعة وهران)

6- أ. د حبيب منسي (جامعة سيدي بلعباس)

7- أ. د عيسى بريهمات (جامعة الأغواط)

8- أ. د أحمد منور (جامعة الجزائر)

شروط النشر في المجلة:

- 1- تنشر المجلة البحوث والدراسات العلمية التي تعنى بقضايا الأدب العام والمقارن والنقد والترجمة، وتتسم بالعمق والجدة والأصالة.
- 2- ترسل الدراسات في نسختين وقرص مرن، ويكون حجم المقال في حدود (20) صفحة مقاسها 24×16، مع كتابة الإحالات والمراجع مرقمة في آخر المقال.
- 3- تكتب المقالات بخط (Traditional Arabic) من عيار 16، وبرنامج (Microsoft Word) أو نظام (RTF).
- 4- ينبغي أن ترفق المقالات بملخص تحدد فيه الإشكالية وأهم العناصر والأهداف المتوخاة من الدراسة.
- 5- تخضع المقالات للتحكيم العلمي من الهيئة العلمية.
- 6- تقوم هيئة التحرير بإخطار أصحاب المقالات في حالة عدم النشر لسبب من الأسباب.
- 7- المقالات لا ترد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر.
- 8- المقالات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن المجلة.
- 9- يتحصل أصحاب المقالات على نسخة من المجلة وخمس مستلآت من المقال.
- 10- ترسل المواد إلى رئيس تحرير مجلة التواصل الأدبي، مخبر الأدب العام والمقارن العنوان: كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار عنابة، ص ب 12- عنابة 23000 / الجزائر.

الهاتف والفاكس: 038-84-51-49 / 038-84-75-25

البريد الإلكتروني: ettaoussouleladabi@yahoo.fr

الفهرس

	وليد بوعديلة
07	خطاب النقد العربي وأسئلة العلاقة مع الآخر.....
	عمار رجال
30	غوته والثقافة العربية.....
	راضية بوبكري
47	نظرية الأفعال اللغوية وتحليل الخطاب.....
	عائشة رماش
66	مكونات الصورة السردية وموضوعاتها في قصص الأطفال.....
	ماجدة بن عميرة
80	مدام بوفاري "رواية القرن التاسع عشر".....
	زهرة خفيف
92	واقعية الرواية الجزائرية.....
	عبد الرحيم مراشدة / عبد الباسط مراشدة
113	الأنثوي الذكوري في النص الروائي مكاتيب النارنج وذاكرة الجسد نموذجا.....
	هجرية لعور
153	الرواية والأسطورة - إبراهيم الكوني أمودجا.....
	سلوى النفزي
171	مريم أم المسيح: من النص الإنجيلي إلى النص القرآني.....
	كمال عطاب
196	تداخل الخطابات في المقامات.....
	موسى مريان
213	ابن رشيق القيرواني وشعره.....
	سامية عليوي
236	أسطورة أريان.....

واقعية الرواية الجزائرية

الأستاذة : زهرة خفيف

الرواية بوصفها نوعا أدبيا هي الأكثر اتصالا بواقع المجتمع و الأكثر قابلية للتعبير عنه، و إذا كان تعقد الظاهرة الروائية يحول دون اعتبار هذه الأخيرة مجرد انعكاس للواقع، فإن الكثير من خصائصها وثيقة الارتباط بهذا الواقع الذي يتميز بدوره بالتعقيد و الثراء >> لكن إذا علمنا أن تحويل الواقع إلى نص سردي يتم من خلال الكاتب الذي يظل، مهما كان إنسانا تجتمع فيه الذاتية و الموضوعية، الخصوصية و العمومية، أدركنا أن الواقعية بمعنى المطابقة بين النص والواقع أمر مستحيل << 1، ومن هنا جاء تنوع التحليلات السردية داخل التجربة الاجتماعية الواحدة و كذلك تشابههم في آن واحد في هذه الدراسة ، نركز على الجانب الأخير أي على الخصائص العامة للرواية الجزائرية في علاقتها بمختلف التحولات التي مر بها المجتمع الجزائري و هذا من خلال : الشكل، الإيديولوجيات، اللغة، التيمات ... و لا يمكن أن نفسر علاقة الرواية بالمجتمع، إذا لم نعرف الظروف التي أحاطت بهذه العلاقة في مختلف مراحلها.

ففي الفترة التي نالت فيها البلاد استقلالها، كان يسود التقاطب بين النظامين الرأسمالي و الاشتراكي، و لقد اختارت الجزائر منذ البداية الانحياز إلى المعسكر الاشتراكي فأخذت الأفكار الاشتراكية تتسرب إلى العقول، سواء عن طريق الحزب الشيوعي أو حزب الطليعة الاشتراكية. الذي أنشئ في جانفي 1966 أو عن طريق الكتابات الاشتراكية و تأثير فئة من المتعاونين العرب و الأجانب وزاد من هذا التأثير ما أعلن لاحقا من إصلاحات في عهد الرئيس " بومدين" تمثلت في الثورات الثلاث: الزراعية الصناعية، الثقافية 2، وقد أدى هذا الوضع

الجديد إلى انتقال حزب الطليعة الاشتراكية من نشاط كان في تمام السرية، إلى نشاط نصف علني في السبعينات، تجسد من خلال الحزب وأدبياته و في مقدمتها جريدة < صوت الشعب > وبالمقابل نشطت حركة الإخوان المسلمين، مستفيدة من المكانة السياسية لهذا التنظيم و كذلك من الإرث الذي خلفته حركة الإصلاح في الجزائر و في مقدمتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 3.

ونظرا لطبيعة الشعب الجزائري و علاقته الوثيقة بالإسلام عموما و بالمذهب المالكي خصوصا، فقد وجد هذا التيار أرضية خصبة و سهلة للتوغل في أوساط الطلبة و كثير من المتعلمين. و مما زاد من انتشاره أنه حمل راية تطبيق الشريعة الإسلامية، مما يعني معاداة الإصلاحات التي أعلن عنها باسم الاشتراكية.

وقد استمر هذا العداء بأشكال متعددة كان منها الشكل الأدبي، و بما أن التيار الإسلامي قد اتجه نحو الشعر، فقد وجدنا أن أنصار التيار الاشتراكي هم الذين برزوا أكثر في كتابة الفن القصصي و في تجريب الكتابة الروائية.

لم تشهد الساحة الأدبية حركة نقدية منذ ما قبل حرب التحرير، إذ كانت كل الجهود مركزة على القضية الوطنية و ما ينشر من انطباعات نقدية، و تعليقات مبعثرة، و لذلك تميزت هذه الكتابات بالسطحية والظرفية و لم تستفيد مما كان يجري في الساحة الأدبية و النقدية من مستجدات و لقد كان لهذا الموقف المحافظ أثره البالغ السلبية في عدم الاستفادة من الثقافة الأجنبية في غياب الترجمة و الرحلات نحو العالم الآخر. 4.

و بما أن الدين كان يشكل محورا أساسيا في الصراع، فإننا نجد حاضرا في الكتابة الأدبية بصفة عامة و في الرواية بصفة خاصة، و ربما كان للرواية الحظ

الأوفر من هذا الحضور، نظرا لأنها جنس يسمح بطبيعته باحتواء الصراع حول الدين.

وكان لنظرية الانعكاس الآلي كما انطبعت في أذهان الكتاب في البداية أثرها في توظيف الدين، و كانت هذه النظرية التبسيطية بدورها نابعة من فهم مبتدل للإيديولوجية الماركسية في تفسيرها للظاهرة الأدبية.

① - الواقع السياسي:

ارتبط المفهوم الوظيفي للرواية الجزائرية بالتاريخ الوطني، فوجد فكرة الواقعية أكثر بروزا في الخطاب الأدبي: شعرا و نثرا، إبداعا و نقدا، و يمكن أن نميز واقعيتين: واقعية اشتراكية وواقعية نقدية >> و ترى الواقعية النقدية أن مهمة الفن و الأدب هي نقد الحياة الإنسانية وفق مفهوم إنساني واسع لا يرتبط بالمفهوم الماركسي، و لذا فإن الحكم على أدبية النصوص الأدبية ينطلق من مدى ارتباطها بالواقع تصويرا و نقدا << 5 .

أما الواقعية الاشتراكية فقد قامت على الأسلوب المادي الذي يفصل بين البنية التحتية والبنية الفوقية، و تلزم الواقعية الاشتراكية الشخصية الروائية أن تكون ملتزمة بقضايا التقدم الإنساني و هكذا فإن >> الأدب عموما في نظر الواقعية الاشتراكية مجموعة من الأحداث تعكس مواقف ووقائع اجتماعية << 6، و الحياة كما تنشدها الواقعية الاشتراكية >> إنجاز و إبداع يهدف إلى تطوير لا ينقطع للملكات الإنسان الفردية و التي لا تقدر بثمن، في سبيل انتصاره على قوى الطبيعة و من أجل الحفاظ على صحته و إطالة عمره، و من أجل السعادة المثلى للحياة فوق الأرض بتوافق مع التطور الثابت لإنجازات الإنسان << 7.

و نعر على تصريحات مباشرة في مقدمة بعض الروايات كتبها الروائيون أنفسهم، فعن الواقعية الاشتراكية، نجد الطاهر وطار عبر عن البعد الوظيفي لروايته في مقدمة (اللاز)، حين يقول متحدثا عن مناسبة

كتابة الرواية: > طيلة السنوات السبع (1965 - 1972) التي استغرقتها كتابة هذه القصة المتقطعة من شهر لآخر كان يطغى علي الشعور بالذنب إن بلادي تسير إلى الأمام بخطى عملاقة، المدارس تنبت من الأرض نباتا والمعاهد تتناول في المدن و القرى تطاولا ، و المعامل تثقل بآلاتها أرضنا شرقها و غربها و شمالها و جنوبها، و الإنسان في كل ذلك يتطور و أنا مشدود إلى هذه القصة أفرج عن الماضي، ولا أساهم في المعركة الحاضرة 8

فالرواية ليست إلا إسهما في المعركة الحاضرة و هي الثورة الاشتراكية بأبعادها المختلفة، التي صورها " وطار " في > اللاز < في جزئها الأول و الثاني و تعبر عن الموقف الثاني > الواقعية النقدية < مقدمة رواية > عزوز الكابان < لـ " مرزاق بقطاش "، و قد ربط فيها بين أحداث الخامس من أكتوبر 1988 و الحوافز الموضوعية التي دفعته إلى كتابة الرواية يقول: >> قيل عن أحداث الخامس من أكتوبر 1988 بأنها من صنع السلطة و أيا ما كانت الخلفيات و أسبابها ودوافعها، فإن الشعب الجزائري هب ليقول كلمته و يعلن رفضه لحتكري الرأي الواحد << 9.

ولذا فقد قامت الرواية بوظيفة سياسية هي التعبير عن الأسباب الحقيقية لأزمة أكتوبر 1988 ، منتقدا السلطة المثلثة في الرواية و في النقد التطبيقي الروائي لا نجد اختلافا في المفهوم، يقدم محمد مصايف لنقد رواية > ربح الجنوب < بجملة من الدواعي لها علاقة مباشرة بالوظيفة الاجتماعية التي تقوم بها الرواية، يقول: >> لا يمكن الحديث عن هذه الرواية بصورة جزئية أولا لأنها رواية كبيرة لا يقل حجمها عن 266 صفحة، ثم لأنها تعالج موضوعا من أهم موضوعات الساعة وهو موضوع الريف الجزائري بمشاكله و ذكرياته وأحلامه ثم ثالثا وأخيرا لأنها العمل الأدبي الأول الذي نظر إلى قضية الريف نظرة واقعية موضوعية تستحق التقدير والدرس << 10 ، بهذه الفقرة يكون الناقد قد وضع النتائج قبل

المقدمات النظرية و التحليل، و هو أمر كثير الورود في النقد الجزائري الواقعي الانطباعي.

ويقول واسيني الأعرج مدافعا عن الواقعية الاشتراكية: >> ... من هنا تظهر القوة اللامحدودة للتعبير في الواقعية الاشتراكية، التي تنتج لكل النماذج البشرية التعبير عن موقفها ووعيتها وحالتها، من خلال واقعها الطبقي المعيشي...ولو كان الطاهر وطار غير الكاتب الواقعي الاشتراكي الذي يتعامل مع تفاصيل الحياة بعلمية، لما استطاع أن يكشف الوجه الإنساني في زيدان و لما تمثل أبعاد آلامه الرمزية بكل هذه القوة << 11

إن الحكم على الأعمال الروائية حسب الآراء السابقة ينطلق دائما من الوظيفة السوسيولوجية و الإيديولوجية التي يبلغها النص الروائي واستمرت الواقعتان: النقدية والاشتراكية في الرواية الجزائرية إلى غاية منتصف الثمانينات : >> حيث برزت بعض الروايات الواقعية ذات وظيفة سياسية نقدية، تناولت أزمة الديمقراطية و الحرية الفكرية في ظل هيمنة إيديولوجيا السلطة الحاكمة القائمة على سلطة الحزب الواحد << 12

وتعد الإيديولوجية مكونا أساسيا في أي نص أدبي لأنها هي التي تكون بعده المعرفي، و إلا فإنه يستحيل كلاما مغلقا، لا يحمل أية دلالة معنوية فالإيديولوجية هي >> التعبير عن الأفكار السياسية أو الدينية << 13 و هذا التعبير يأخذ منطلقات فكرية مختلفة، و مقاصد متباينة ولذلك فإن الإيديولوجية لها أنماط متعددة و يميز بعضهم بين أربعة أنماط للإيديولوجية وهي : >> نمط سياسي، نمط اجتماعي، نمط معرفي و نمط مشترك... << 14، و تتوزع هذه الأنماط حسب دوافع و أهداف أصحابها.

ما يهمنا هو النمط السياسي، التي يكون محورها الأفكار السياسية و نبجدها تشكل محور الرواية السياسية، و إذا جئنا إلى العمل الروائي، نجد الشخصية هي المعلم البارز الذي يقدم لنا الخطاب الإيديولوجي لأنه

العنصر الأكثر أهمية حتى إن بعض النقاد يعتبرون كل شخصية كائنا حيا، لها الخصائص نفسها التي نجدها في الإنسان العادي.

ولكن النص الروائي ليس انعكاسا مباشرا للواقع، فهذا القول ينبع من فهم خاطيء لعملية الإبداع عموما و الإبداع الروائي خصوصا، ذلك لأن النص الروائي هو جزء من الحياة التي يعيشها الفرد في داخله، أو ما تعيشه الجماعة انطلاقا من مخيلة الروائي.

إن الرواية >> لا تعكس إيديولوجيا الواقع ولكنها تندرج هي نفسها في الحقل الإيديولوجي لأنها مغامرة فكرية في خضم الصراع الإنساني <<15 فتغدو جزءا من الواقع السياسي الذي يسم مرحلة زمنية معينة، و هو مرتبط بطبيعة الحياة الإنسانية التي تفرز الإيديولوجيات المختلفة . وقد ارتبطت الرواية الجزائرية بالتاريخ ارتباطا وثيقا، خصوصا التاريخ الوطني الحديث الذي تجلى في النضال من أجل الديمقراطية ضمن الدولة الوطنية.

إن الروايات الجزائرية الثورية تشكل جزءا هاما من الإنتاج الروائي بداية من مطلع السبعينات ، >> فقد ظلت الثورة هي المرجعية الإيديولوجية و الفنية ، التي ينطلق منها أغلب الروائيين الجزائريين << 16 ، ولكن في منتصف الثمانينات، بدأت تبرز أصوات روائية مختلفة في رؤيتها الإيديولوجية و الفنية، واختلاف أو تشابه النصوص الروائية في المرجعيات الجمالية و الإيديولوجية هو حصيلة حاصل لاختلاف المواقع التاريخية و هو ما يغدو مهما تأكيد الطابع التاريخي للرواية الجزائرية >> إن فترة الاستقلال ترتبط بعلاقات وثيقة مع التركيب الاجتماعي في المراحل السابقة وأهم شيء كان يسيطر مع بداية هذه الفترة هو الحفاظ على الوحدة المنسجمة للمجتمع، مثل تلك التي كانت متجسدة في العهد السابق في تلاحم شعبي ضد المستعمر << 17

وهذه النتيجة التي توصلنا إليها تنطبق على الرواية السياسية التي توظف الأفكار السياسية ذات المنشأ التاريخي وأسهم النقد الروائي الإيديولوجي الانطباعي و التزعة الواقعية في تشجيع الرواية ذات العلاقة المباشرة بالمسار التاريخي الوطني، فلم تكن هناك خلفية نقدية مختلفة، يمكن أن تثير أسئلة جديدة لدى الروائيين الجزائريين و لا يمكن أن ننسى هنا الانغلاق الثقافي الاشتراكي الذي حجب عن النقد و الإبداع نوافذ إبداعية جديدة، كان يمكن أن ترفد الأدب الجزائري و الرواية بشكل خاص بروافد معرفية و جمالية جديدة.

و لذا فليس من الغرابة أن نقول إن كتابة الرواية السياسية أمر على قدر كبير من الصعوبة، ولعل هذا ما تنبّهت إليه الرواية الحديثة، التي حاولت أن تخرج عن قواعد الرواية الكلاسيكية الواقعية واعتماد تقنيات أخرى، تجعل إمكانية خلق عالم التخيل قادر على الإقناع و الإيهام أمرا ممكنا و يقدم لنا النص الروائي خطابا إيديولوجيا جاهزا للقارئ إضافة إلى الجانب الجمالي، فهو أداة في يد الكاتب للتعبير عن إيديولوجيته الخاصة >> وقد تطورت معالم الجنس الروائي في هذه الظروف الاجتماعية والثقافية و السياسية الجديدة، وظهرت النصوص الروائية الأولى خصوصا التي صدرت بين عامي 1970 و 1976 متأثرة بالواقع سواء ما كان منه التاريخي أو الاجتماعي، أو المزج بينهما و لعل إبراز اهتمام الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، في بدايتها إنما عبرت عن واقع المجتمع الجزائري الجديد، انطلاقا من مواقع ماضية و بذلك هيمنت فكرة الهدم ثم البناء على جل كتابات الطاهر وطار و عبد الحميد ابن هدوقة <<18 تسعى الرواية في أعمال السبعينات إلى تجسيد الصراع بين التيار الاشتراكي و الشيوعي و التيار الإسلامي و يظهر الدين في سائر الأعمال بوصفه مرتكزا يؤولونه بما يتماشى و أهدافهم السياسية.

وتذهب بعض الأعمال و منها أعمال " الطاهر وطار " إلى نقل الخطاب السياسي الإيديولوجي باستعمال الشعارات الدينية و الآيات القرآنية، تماما كما تجري الأمور في الواقع، مما يجعلها في كثير من الأحيان عرضة للمباشرة والتقيرية، وكأن الرواية في هذه الحالة لا تكسب شرعيتها من أدبيتها، بقدر ما تكسبها بفضل الخطاب السياسي الذي تنحاز إليه و لذلك قد تصلح في كثير من المواقف وسيلة للدعاية السياسية أكثر مما تصلح للمتعة الفنية و هذا أيضا ما يجعلها تتشابه سواء في أعمال الأديب الواحد أو بين أعمال مختلفين، ولقد ظهر التشابه بوضوح كبير في تجربة فترة السبعينات فيما عرف بـ < أدب الشباب > فهؤلاء كانوا في كثير من الأحيان يتخذون " الطاهر وطار " نموذجا للكتابة الاشتراكية و التقديمية لأنهم فتحوا أعينهم على كاتب يبدو إلى جانب الرئيس " هواري بومدين " أقرب إلى نموذج "ماكسي غوركي" إلى جانب " لينين " و أنهم كانوا يجربون الكتابة الأدبية تحت مظلة الخطاب السياسي الإيديولوجي السائد وليس ذلك الخطاب سوى الخطاب الاشتراكي الذي أصبح يقترن بالوطنية والتضحية من اجل تغيير أوضاع الطبقة الكادحة.

ومصدر هذا التوجه عند " الطاهر وطار " و غيره، هو الاقتناع بوجود بذور اشتراكية في الإسلام، و كان هذا الفهم معطى سياسيا ، قبل أن يصبح ظاهرة أدبية 19

وقد رافق التعددية الحزبية المميزة للراهن الجزائري اعتبار حرية التعبير في الدستور حقا من حقوق المواطنة، و هذا يعني أن النص الروائي الحالي يتوفر قانونيا على حرية أكبر في التعبير قياسا بما كان عليه الأمر في عهد الحزب الواحد، مع العلم أن النص الروائي قد عانى من ظاهرة الرقابة إلى حد ما، و يكفينا أن نذكر بالمضايقات التي تعرض لها الحبيب السايح بعد نشره < زمن النمرود >، أو كيف أنه لم يسمح بتداول رواية < التطبيق > لرشيد بوجدره في الجزائر إلا بعد انتهاء عهد " الرئيس بومدين " أو كيف انتظر السعيد بوطاجين سنة 1998 لنشر أول مجموعة

قصصية في الجاحظية بسبب ما عانته قصصه المنشورة في الصحف الوطنية من مقص الرقابة أثناء فترة الأحادية الحزبية.

ولقد تميز المشهد الروائي الجزائري منذ سنوات السبعينات من القرن العشرين، بظهور و بروز نمط جديد من الكتابة السردية، الذي كان نتيجة لمناخات الفتنة الجزائرية و هذا ما اصطلح عليه < برواية الأزمة >.

<> و هي رواية تتخذ من المأساة الجزائرية بؤرة سردها، فمنها تتولد أسئلة متنها الحكائي، و في ضوئها تتشكل مختلف عناصر سردها وإسنادا إليها تتخذ رؤى كتابها و مواقفها من الذات في علائقها بالآخر والعالم، و قد جسد هذا النمط المستحدث في خريطة الرواية العربية الجزائرية عدد مهم من النصوص اتخذ من المحنة الراهنة للجزائر منطلقا ومدارا و مدى << 20

و يمكن أن تمثل لهذا النمط من رواية الأزمة (المحنة) روايات:

✍ - الطاهر وطار : عودة الولي إلى مقامه

✍ - إبراهيم سعدي : فتاوي زمن الموت

✍ - واسيني الأعرج ، ذاكرة الماء

✍ - جيلاني خلاص : الحب من المناطق المحرمة

✍ - جيلاني خلاص : عواصف جزيرة الطيور

✍ - واسيني الأعرج : شرفات بحر الشمال.

✍ - عز الدين جلاوجي: راس المحنة.

فكل هذه الروايات و غيرها كثير، لكتاب جزائريين تعد نمودجا دالا على رواية المحنة، فهي تتحدث عن : الذات /الأخر، الحياة / الموت العشق / الرفض ، السحن / الحرية ، الذاكرة / النسيان.

و إن <> الأزمة الحقيقية العظيمة ، ليست في الأنظمة الحاكمة و لا في الأحزاب التقليدية، و إن كان لها مشاكلها، إنما في قوى الطليعة القوى الأكثر جذرية في أحزاب المعارضة << 21، وكذا ظهور ظاهرة

الإرهاب، و التي لا تعتبر ظاهرة عارضة وافدة كما يتوهم الكثيرون العارض الوافد لا يطول و لا يضرب بقوة فيأتي على الأخضر و اليابس بل الإرهاب له جذوره و أسبابه، و له منطلقاته و أبجدياته، >> و هو راهن ذابت فيه القيم و اغتيلت فيه الضمائر و ارتفعت فيه أصوات الرشاش بدل الفكر و الإقصاء بدل الحوار << 22، فهو راهن جزائري محاصر بملامح الفساد و الإرهاب و لم يجد المواطن الجزائري نفسه في عوالم المجد و الكرامة بقدر ما وجد نفسه في حالة غبن و اغتيال.

② - الواقع الاجتماعي:

امتلاك الراهن في الرواية هو تقديم الحركة الاجتماعية روائيا فالرواية مجتمع مصغر أو مقطع من مجتمع، إنها تحديد شبكة من العلاقات و تنالي أو تزامن الأحداث >> و المجتمع ليس لغة للتواصل و التبادل بقدر ما هو علاقات قوى بين الأفراد و المجموعات، و هو نظام للإنتاج و التداول لا يكف عن إنتاج ما به يتحرك التاريخ من التفاوت أو التفاضل أو الاستلاب << 23، و كما أن للراهن الاجتماعي جوهره و سياقه في الحركة الاجتماعية العامة فإن للراهن في الرواية دلالة و جوهره و سياقه في مفهوم الروائي و رؤيته ككل، إن أشخاصا مختلفين قد يقدمون استنتاجات مختلفة بناء على ظاهرة واحدة، و كذلك الرواية، كشبكة علاقات مشاهة لشبكة العلاقات الاجتماعية، تقدم إمكانيات تفسير يتدخل فيه الخيال و القصد حتما >> إنها الواقع الحقيقي مكثفا و مضافا إليه الفن و الجمال محتويا تفسير كاتب الرواية للواقع، إن هدف العمل الفني ينبثق من العمل الفني نفسه و التصوير الصادق للعلاقات الاجتماعية في الرواية، هو الذي يشير إلى الهدف الذي تتضمنه الرواية، لأن التصوير الصادق للحركة الاجتماعية هو رؤية للحركة الإنسانية في اتجاه حركتها << 24

تنسج الرواية بناء ذهنيا متمثلا لراهن اجتماعي، ومن هنا هي أكثر تعقيدا من الواقع الاجتماعي، لأنها حصيلته و تكثيفه و تفسيره من وجهة نظر مغرضة فعندما يكون الكاتب أميناً في تصوير الواقع الاجتماعي، فإنه يقدم للقارئ امتلاكاً معرفياً للواقع، و من هنا يقال ليس الأدب مجرد متعة و شكل متقن بل هو معرفة، فعلم الواقع شديد التعقيد، شديد الغنى و متشابك، إنه كل شبكة من التناقضات المؤتلفة و التي تصنع و تنسج في صدامها وتآلفها، في تفرقها و تجمعها، سيولة الزمن و شكل المجتمع أو حالته و بديهي أن أي تمثيل أو امتلاك معرفي علمي لهذه السيولة الزمنية الاجتماعية، إنما يجب أن يكون في سعة تدفق هذه السيولة الاجتماعية وفي غناها، أي يجب أن يغوص ليلتقط الجوهر خلف المظهر، إن لم نقل يجب على مثل هذا التمثيل الممتلك للواقع أن يكون في سعة هذه السيولة، و في غناها و تعقيدها في ائتلاف تضادها الواقعي و في تشابكه.

و الرواية الجزائرية، تصور بالإجمال، المراحل التي مر بها المجتمع الجزائري في حركته و توتره، و تناقضه واضطرامه >> مما جعل هذه الحالات الطبيعية في حياة المجتمع تنعكس بدورها على العمل الفني، إن الخبرة المتبادلة و التشابك الدائم و التفاعل الحي بين الشخصيات و الواقع الاجتماعي و المعاناة السياسية، هي التي تشكل الظاهرة الواضحة لحركة بناء الرواية و نموها و تطورها << 25

وعلى الرغم من أن الرواية تنطلق من دافع ذاتي عن توضيح شخصي إلا أن هذا المنطلق، ما هو إلا شرارة لكشف جماعي، إنساني تريد أن تحفر في بنية الواقع في العمق >> و أن تنتصر لكل القوى المجاهدة من أجل الحق و جمال الحياة << 26.

اهتمت الرواية الجزائرية أساساً بالموضوعات المتصلة بمحوم الجماعة، فالروائي الجزائري انشغل بوضع المجتمع أكثر منه بالهموم

الشخصية و الذاتية سواء أثناء عهد الحزب الواحد أو أثناء التعددية، و هذه الميزة ناتجة عن التربة الاشتراكية المرتكزة على خلاص الجماعة وأيضا تحت تأثير الاستقرار العام، هذا الأمر جعل شخصيات النص السردي الجزائري تتسم بمواصفات عقائدية سياسية، اجتماعية أو طبقية أي شخصيات نمطية لكنها فقيرة من ناحية العمق الإنساني و النفسي، بحيث تكاد لا تملك عالما داخليا، فالرواية الجزائرية رسمت الإنسان من الخارج وأساسا بوصفه عضوا في جماعة إشكالية، أما من حيث هو كائن نفسي وذات فردية، فإنها لم تفعل ذلك بالقدر الكافي. 27

إن بعض ما طرحته الرواية الجزائرية من توقع إلى التغيير و التطهير قد تحقق فعلا في الواقع، و يكفي الرواية أنها صدقت واقعها وسعت إلى تحقيق التغيير الاجتماعي.

1- مفهوم التغيير الاجتماعي:

يعرف التغيير الاجتماعي، بأنه >> مجموع مظاهر التحول و التبدل التي تطرأ على المجتمع، شريطة أن يكون ذلك التبدل و التحول طارئاً على المجتمع، و يمس مكوناته التي تصنع من المجتمع و عناصره واقعا منظما: وهذا يعني أن التغيير عندما يحدث، يتجلى من خلال تبدل و تحول الأبنية النسقية المختلفة التي تنشط داخل المجتمع و تحكمه سواء اقتصاديا أو سياسيا أو فكريا << 28

و التغيير بهذا التحديد، لا شك، يختلف عن أشكال كثيرة من التحول و التبدل، في الزمان و المكان، فهناك تبدل أو تحول حضاري... وهو تحول مستمر و يصعب حصره في الدراسة انطلاقا من مظاهر عامة قد لا تتوفر على صفة النسق أو صفة المؤسسة... فهو إذن تحول عام و نتيجة نشاط اجتماعي طويل الأمد يتجاوز حياة جيل، بينما يظل التغيير حادثا ملموسا و ليس عرضيا و لا مؤقتا، و حادثا محددا بمكان و فترة زمنية معينة

>> لذا يتعذر القول بأنه مطلق الاختلاف و التحول و التبديل << 29
لأن هذا القول لا يخرج عن إطار الشرح اللغوي لكلمة التغير و ليس
تعريفاً بالمفهوم الذي تحدده السيولوجيا كعلم.

وبدون شك، فدراسة التغير الاجتماعي إذن تستوجب بالضرورة
تتبع أنظمة المجتمع الذي يصح مجاها و موضوعها و يتمثل ضمن فترة
تاريخية مشخصا بنظامه الاقتصادي و الطبقي و الفكري و السياسي... أي
كبنية كبرى لا تفهم إلا من خلال حركة مجموع البنى التي تتحرك أي
تتغير قياسا بحالات حركية سابقة >> و تجعلها أبنية تتسع، تتعدل أو
تتقوى، تارة يجعل الحركة حركة تحويل و تارة بإحداث توازن و تارة
بإحداث إقصاء << 30.

وإذا كانت حركة المجتمع حركة شاملة فإن التغير على صعيد
أنظمة المجتمع لا يأخذ وتيرة واحدة، و لا يعمل بتوقيت واحد، إذ حصول
التغير يتعلق بمدى استعداد البنى، و قابليتها و يتعلق أيضا بنوعية الإمكانيات
التي تؤثر ماديا عليها.

هكذا لا نستطيع أن ندعي أن التغير الذي يحدث في مجتمع مثل
المجتمع الجزائري، يتم على غرار التغير الذي يحدث في مجتمع آخر وانطلاقا
مما سبق لا يمكن أن نعمم الأسباب أو نتوقع نفس النتائج ... و لكن ما
يمكن الحديث عنه بهذا الصدد فقط هو الإشارة إلى عوامل مستقاة من
دراسة المجال الثقافي، و الاجتماعي الخاص، و هي عوامل تحددت لنا
إجمالا، بما يلي:

* عوامل ترجع أساسا إلى فعل الثقافة.

* عوامل ترجع إلى الموروث من الأنظمة الاجتماعية و الثقافية للمجتمع.

* عوامل ترجع إلى الاختيارات الإيديولوجية المختلفة التي تعمل داخل
المجتمع.

إن العوامل المذكورة، كثيرا ما تتداخل لتخلق مظاهر من الصراع تارة و تارة لتخلق التباعد و تارة لإنجاز عمل توفيقى و تبدو في أكثر الأحيان، عوامل تحديث و تنمية وأحيانا ردود فعل محافظة >> و هي دائما تجد تعبيرا ماديا في شكل صناعة أو إنتاج ملموس، له شكل نظام جديد أو إعادة إحياء شيء كان ... << 31، كما تجد تعبيرا عنها وجدانيا وأخلاقيا وفكريا، داخل النشاط الثقافي بل وداخل الفكر السياسي و الديني أيضا.

③ - الواقع الثقافي:

سعت الرواية العربية الجزائرية منذ بدايتها، في إصرار لا يلين إلى أن تكون مرآة المجتمع المدني الصاعد، و سلاحه الإبداعي في مواجهة نقائصه التي لا تزال إلى اليوم مقترنة بالتعصب و التخلف من ناحية والتسلط و التطرف من ناحية أخرى، و كان سعيها جادا للحاق بالركب،... ركب الرواية العربية، كتراكم روائي و كفن إبداعي له خصوصياته و جمالياته.

وبذلك لم تتمكن الرواية العربية في الجزائر المهادنة، من تحرير نوعها من هيمنة النوع الأدبي الواحد " الكلاسيكي " والاتجاه الفني الوحيد و التقنيات الثابتة، و هي بذلك التراكم لم تتوقف عن تجسيد نفسها، و تحرير مسارها بالخروج من ربقة التقليد، و من قيد وسلطة الإيديولوجية في أي سطوة فكرية أو فنية تمارس القمع باسم السياسة أو الدين، أو التقاليد الأدبية و لم تكف عن مناوشة كل تلك الجبهات، بجيلها الأدبية المتفاوتة و المتعددة لتصل إلى المواجهة الحقيقية و الصارمة لكل أوجه القمع في هذه الأيام التي لم يسلم منها أي كان من آثار العنف الذاتي >> الذي خلفته جماعات الإرهاب و التعصب في حياتها، و في خضم هذا المسار الطويل، بكل تناقضاته استطاعت الرواية الجزائرية أن

تصمد أمام الهزات المادية و المعنوية و كل أشكال القمع .و التحيط، لتكمل مسيرتها، و تؤكد رهاقها لتشكل تراكما إبداعيا، حفظ لها مكائنها في مصاف الرواية الشرقية و المغربية، و أن تؤكد حضورها في كل المستويات << 32 .

و تحتل الجزائر مكانة محترمة بين باقي الدول العربية من حيث الإنتاج الروائي، إلا أنها لا تعكس وجه الحركة الإبداعية الحقيقية، و لا المكانة، التي يجب أن تتبوأها الجزائر، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار التراكم الروائي المخزون في رفوف المبدعين، و دور الطباعة منذ زمن طويل بالنسبة لكثير من الأدباء لصعوبة عملية النشر و الفوضى التي تسود هذا الركن في العملية الإبداعية في أي بلد من البلدان، يضاف إليها إشكالية القراءة (المقرئية) و هي إشكالية عويصة في الجزائر لها بدورها أسبابها و عللها، و هنا يجدر بنا أن نشير إلى القراءة المتخصصة و التي تعيش بدورها أزمة كبيرة، و أثرها في تطور العملية الإبداعية و خاصة لدى المبدعين الشباب، حيث تعد بمثابة الموجه و المدعم لهم ماديا و معنويا.

لقد أدى تطبيق اقتصاد السوق في مجال الثقافة، الدولة إلى التخلي عن دعم إنتاج النص الإبداعي، و تحول هذا الأخير إلى سلعة تحتكم إلى العرض و الطلب، فظهرت أزمة النشر، إذ أن غلاء المنتج الإبداعي في ظل انتشار البطالة و التضخم المتزايد، ما لبث أن أصبح عائقا يحول دون تسويق هذا المنتج، مما حدا بدور النشر إلى الامتناع عن طبع الأعمال الأدبية .

وهكذا ظهر لأول مرة في تاريخ الجزائر المستقلة النص الإبداعي المطبوع على نفقات المؤلف، و تحول هذا الأخير في آن واحد إلى مسوق و موزع لأعماله >> وانجر عن ذلك أن النص الأدبي المطبوع صار لا يتعدى الألفي نسخة، و هذا في أحسن الأحوال بل حتى من حيث الحجم

لم يتعد المئة و خمسين صفحة وأصبح المبدعون الجزائريون يولون وجوهم
إما شطر باريس إن كانوا من كتاب اللغة الفرنسية، أو نحو المشرق لاسيما
سوريا و لبنان إن كانوا من أصحاب الحرف العربي << 33
هذه هي حالة النص الروائي الجزائري في زمن اقتصاد السوق، زمن الأزمة
و المحنة ، نص يبحث عن ناشر فلا يجده، و عن قارئ فلا يعثر عليه، نص
في طور التأسيس من جديد، في رحم جزائر تعيد تشكيل نفسها بآلم
وأمل.

* التغير الثقافي:

نستخلص مما سبق أن التغير الاجتماعي، يظهر من خلال أشكال
متعددة من الأفعال التي تمس قطاعات المجتمع، و ليس بوسعنا أن ننكر أن
التغير الثقافي مرتبط ارتباطا جوهريا بكافة أشكال التغير الاجتماعي لكن
هذا لا يسمح بجعل التغير الاجتماعي بالمعنى العام مرادفا للتغير الثقافي لأن
هذا الأخير قد يفرد بجملة خاصيات، بل لا يجوز تسميته إلا بحصول تلك
الخاصيات، و أهم هذه الخاصيات أن التغير الثقافي لا يمنح من احتفاظ
المجتمع بالتراكم المنجز سابقا و الحرص عليه كتراث، بينما عدد من أنظمة
المجتمع تنتهي بمجرد ما يحل محلها نظام جديد.

إضافة إلى ما سبق، فإن بعض أنظمة المجتمع قابلة للتحديد و
الضبط بينما << أنظمة الثقافة يصعب حصر مكوناتها >> 34 ...
فهي إذن كنظام يتسم بالديناميكية و تنوع عناصر التشكيل، و التي بدورها
تتسم بتنوع وظائفها وتأثيرها، و مستويات حضورها داخل المجتمع، و
علاقتها بفئات المجتمع الشعبية و العالمة.

فالتغير الثقافي إذن ليس من السهل رصده، بل هو << تغير
يحدث بصور مختلفة وفق درجة تأثير العوامل المذكورة، و يختلف بحسب
مواقع الثقافة، بل وأيضا حسب نوعية الأشكال الثقافية نفسها >> 35،

وهذا يعني أن ما يسمى الثقافة الشعبية، رسنا ورقصا وأدبا شفويا، لا تقدم نفس الصورة التي تقدمها الثقافة العالمة المكتوبة، المنحزة كأدب وفكر وسلوك (مثل الرواية) ولذا أصبح غير خاف أنه >> من المتعارف عليه في علم الاجتماع الثقافي و المعرفي، التعاطي مع المنتجات الثقافية وتوزيعها إلى جملتين أساسيتين هما جملة الثقافة المركزية، و جملة الثقافات الفرعية << 36.

وقبل أن تختص الرواية الجزائرية بخاصيتها الأدبية فهي شكل من أشكال الثقافة ، وهي بقدر ما تحصن نفسها كبنية ذات استقلال، تبقى واحدة من عناصر كثيرة تشكل بنية الثقافة ... وهي باعتبار ما سبق تتمثل لدى الباحث في سيولوجيا الثقافة بمحددات اجتماعية بوصفها :

1- إنتاجا ثقافيا، يشبه غيره من الإنتاجات الثقافية من حيث ارتباطه بالواقع الاجتماعي كنشاط يحقق التواصل و يقوم بدور مماثل لما تقوم به الأشكال الأخرى و التي ينتجها المجتمع و يستهلكها كشيء قابل للتداول.

2- تعبيرا عن الواقع الاجتماعي من جهة الأفكار و الصور و المواقف المكتوبة و التي تشخص حالات عامة أو خاصة داخل المجتمع.

وعندما ننظر للرواية الجزائرية، كنصوص إبداعية، فإننا نجد إنتاجا ماديا مرتبطا بحضوره بالمجتمع و تغيراته، >> و هذا ما يفرض إيجاد نقطة التقاء بين ممارسة الوصف و ممارسة الشرح و التأويل لموضوع واحد يظهر بصورتين مادية و رمزية في آن واحد << 37

ولقد تعاملت الرواية مع المتغيرات التي واجهت المجتمع الجزائري: اقتصادية و سياسية و إيديولوجية و ثقافية بصورة تكشف عن طبيعة درجة و شدة هذه المتغيرات في المجتمع الجزائري.

في ضوء ما سبق، نستنتج:

1- إن غلبة قضايا السياسة، ومشكلات الإيديولوجية على الرواية الجزائرية أمر طبيعي، بحكم زخم قضايا الواقع و تعقد مشكلاته الفكرية والاجتماعية و السياسية بعد التحرر من احتلال غاشم استمر مدة قرن ونصف تقريبا.

2- جرأة الكتاب و الروائيين الجزائريين، و توجههم بقوة، نحو كشف مواطن العفن، و مراكز الضعف في المجتمع، قصد تعرية الفساد الاجتماعي و السياسي و الثقافي ... و الدعوة إلى تغييره.

3- اهتمام الرواية الجزائرية بالسياسة انعكس على طبيعة القضايا التي تناولتها، حيث اهتمت بالعديد من القضايا السياسية مثل: العدالة الاجتماعية حقوق الإنسان، أساليب القهر السياسي، قضايا المرأة، المدينة، الريف... بما يعني أنها تناولت بشكل أساسي المشكلات الناشئة عن ظلم النظام السياسي و الاجتماعي.

4- إن التحولات التي مر بها المجتمع الجزائري، سواء أثناء الثورة أو قبلها أو بعدها، والتي امتدت تناقضاتها إلى الاستقلال كان لها وقعها الكبير، في تحديد مسار الرواية الجزائرية إضافة إلى التغيرات التي حدثت على المجتمع في السبعينات و كذا نهاية الثمانينات، بالإضافة إلى تأثير العولمة ، و ما أفرزته من نتائج مباشرة و غير مباشرة على مختلف القطاعات ... فكل هذا أدى إلى تحول واضح للرواية الجزائرية، سواء من الناحية الشكلية أو المضمونية.

الهوامش:

- 1- إبراهيم سعدي: الجزائر كنص سردي، أعمال الملتقى الدولي الرابع للرواية عبد الحميد بن هدوقة، مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج ط2002 ص. 73
- 2- مخلوف عامر: تحولات الرواية، تحولات التاريخ، الملتقى الدولي التاسع للرواية عبد الحميد بن هدوقة، مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج، ط2006 ص. 173
- 3- المرجع نفسه، ص 173 .
- 4- المرجع نفسه، ص 174 .
- 5- علال سنقوقة، المتخيل والسلطة (في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية) منشورات الاختلاف(د.ت)، ص 24
- 6- المرجع نفسه، ص 25
- 7- د. فيصل دراج: الواقع و المثال (مساهمة في علاقات الأدب و السياسة) دار الفكر الجديد، ط1، 1989، ص 105
- 8- علال سنقوقة، المتخيل والسلطة (في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية)، ص 26
- 9- المرجع نفسه، ص 26
- 10- المرجع نفسه، ص 27
- 11- واسيني الأعرج، الطاهر وطار، تجربة الكتابة الواقعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1 1989، ص. 49
- 12- علال سنقوقة، المتخيل والسلطة، ص 27
- 13- تزفتان تودوروف: نقد اللغة، ترجمة سامي سويدان، 1986، ص 106
- 14- د. عبد الله العروي: مفهوم الإيديولوجية، المركز الثقافي العربي بيروت، لبنان، ط1 1996، ص 16

- 15- حميد حميداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دار الثقافة، ط 1 1985، ص 163
- 16- علاء سنقوقة، المتخيل والسلطة، ص 48
- 17- حميد حميداني: الرواية المغربية و رؤية الواقع الاجتماعي، ص 89
- 18- طه وادي: دراسات في نقد الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1989 ص 66-67
- 19- مخلوف عامر: تحولات الرواية، تحولات التاريخ، الملتقى الدولي التاسع للرواية عبد الحميد بن هدوقة، وزارة الثقافة، مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج، ط 2006 ص 175 .
- 20- د. بوشوشة بوجمعة: مجلة عمان، العدد 102، كانون الأول، 2003، ص 30
- 21- عبد الرحمان منيف: الكاتب و المنفى، هموم و آفاق الرواية العربية، ص 260
- 22- وليد بوعديلة: في تفاعل المتخيل مع الراهن الجزائري ، جريدة الخبر العدد 4333، 03 مارس 2005، ص 21
- 23- علي حرب: أوهام النخبة، أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، بيروت الدار البيضاء، ط 1، 1996، ص 91
- 24- محمد كامل الخطيب: الرواية والواقع، دار الحداثة ، للطباعة و النشر و التوزيع، ش.م.م 1981، ص 17
- 25- سيد حامد النساج: أدب التحدي السياسي في المغرب العربي، دار الرأي، بيروت (د.ت)، ص 194
- 26- دريد يحيي الخواجة: إشكاليات الواقع و التحولات الجديدة في الرواية العربية، اتحاد الكتاب العرب 2000، ص 46

- 27- إبراهيم سعدي: الجزائر كنص سردي الملتقى الدولي الرابع للرواية
عبد الحميد بن هدوقة، وزارة الثقافة، مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج
ط 2001، ص 107
- 28- محمود الدغمومي: الرواية المغربية و التغير الاجتماعي، دراسة
سوسيوثقافية، إفريقيا الشرق، 1991، ص 13
- 29- جلال مدبولي: الاجتماع الثقافي، دار الثقافة ، مصر 1979 ، ص
13
- 30- محمود الدغمومي: الرواية المغربية و التغير الاجتماعي، دراسة
سوسيوثقافية، إفريقيا الشرق، 1991، ص 14
- 31- المرجع نفسه، ص 14
- 32- عبد الحميد بن هدوقة: كتاب الملتقى الدولي الثالث، أعمال وبحوث
مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج ، ط 1، 2000، ص 214
- 33- المرجع نفسه، ص 234 ، ص 237
- 34- محمود الدغمومي: الرواية المغربية و التغير الاجتماعي، دراسة
سوسيوثقافية، إفريقيا الشرق، 1991، ص 16
- 35- المرجع نفسه، ص 234 ، ص 16
- 36- خليل احمد خليل: نحو سوسيولوجيا للثقافة الشعبية، دار الحداثة
بيروت 1979 ، ص 07
- 37- محمود الدغمومي: الرواية المغربية و التغير الاجتماعي، دراسة
سوسيوثقافية، ص 18